

دور الرباط الديني والجهادي والتربوي في الدولة الإسلامية

د. بخيته حمد أحمد الجزولي^(١)

المستخلص

تكمن أهمية هذه الدراسة في إيضاح دور الرباط الديني والجهادي والتربوي، وكما هو معروف أن حياة الرباط المعتمدة على الزهد والانعزالية ومفاهيم الجهاد والتضحية من أجل نشر الدين الإسلامي وأن الرباط من أهم ما ألهم الله به جماعة العدل والإحسان في شخص مرشدها، والرباط هو الإقامة في الثغور، وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من أعداء الإسلام وأن المسلمين خاصة ممن يسكنون في ميادين الصراع أو بتعبير سلفنا المصلحة الثغور بحاجة إلى معرفة الرباط، وأن معنى الرباط ليس محصوراً في قتال أعداء الله تبارك وتعالى، بل إن الثبات على الطاعات والمداومة عليها يعد من الرباط، والرباط ذو مكانة سامقة عند الله تعالى، وهو من أفضل الأعمال وأن الرباط والجهاد فروض شرعية من أجل حفظ الدين ولقد اهتمت هذه الأربطة بالناحية العلمية والتربوية والجهادية، وكما هو معروف أن أهل الرباط هم الذين حملوا لواء المقاومة وهم الذين دكوا صرح الشيعة في أفريقيا والمغرب، ومن خلال الرباط تكونت طبقة من المصلحين حملوا لواء الجهاد ضد أعداء الإسلام، ومن خلال هذه الأربطة استطاع الإسلام في عهده الأول أن يؤسس دولة انتصرت على جميع أعداء الإسلام. ولقد حشد القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن الرباط وفضله وكذلك السنة النبوية الشريفة.

١ - أستاذ مساعد جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - كلية التربية - قسم التاريخ.

مقدمة

هنالك العديد من الدعائم التي يستند عليها بناء المجتمع الإسلامي وبدونها لا يستقيم ويصبح مهدداً بالانهيار في أية لحظة وعند أي عارض، ومن بينها الشباب المسلم كذلك الجهاد في سبيل الله تعالى من أجل الدفاع عن الأراضي الإسلامية، وإذا ما اجتمعت هاتان الدعامتان في كيان واحد كان هذا الكيان من أكبر الدعائم وأهمها في المجتمع الإسلامي، وهو ما نحسه أو نشاهده في تجربة الأربطة الإسلامية التي كانت مكاناً للتربية وتنشئة المجاهدين المدافعين عن الإسلام والأراضي الإسلامية والساعين لرفعة راية الإسلام في ربوع أراضي الله سبحانه وتعالى.

وإن ظهور الأربطة يرجع إلى صدر الإسلام الأول عندما اهتم الخليفة الراشد عثمان بن عفان بالإسكندرية، ثم من بعده اهتم عمرو بن العاص بهذه الأربطة عندما قسم جنده إلى قسمين، قسم ظل معه بالفسطاط وقسم آخر وزعه إلى نصفين، يبعث كل سنة جنوداً من أهل المدينة يرابطون في الإسكندرية، وكذلك اهتم معاوية بن أبي سفيان بالأربطة في سواحل الشام.

وقد ارتبط ظهور الأربطة في التاريخ الإسلامي بامتداد رقعة الأراضي الإسلامية مع الفتوحات الإسلامية حيث كان قيام الأربطة مرتبطاً بهذه الفتوحات الإسلامية ولم يكن الفتح الإسلامي الذي تم في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين فتحاً عسكرياً فحسب، ولكنه كان يسير معه جنباً إلى جنب فتح آخر لا يقل عنه أثراً وخطراً وهو الفتح العلمي الذي تم في مختلف الأمصار التي استولى عليها المسلمون ومن ثم يكون لا معنى للقول إن المسلمين في القرن الأول الهجري كانوا مشغولين بالجهاد دون التعليم والتعلم، ولقد كان لهذه الأربطة دوراً مشهوداً من الناحية التربوية والعلمية والدينية والجهادية وهذه الأربطة كانت محل إقامة المجاهدين وأن التابعي عقبه بن نافع الفهري عندما أراد بناء مدينة القيروان بلغ الحماس برجاله فاقترحوا عليه إقامتها على

الساحل للمرابطة فيها وقد توسع بناء هذا الربط في عهد الدولة العباسية ثم دولة الأغالبة والمرابطين كذلك اهتم عبد الرحمن بن الأوسط بنظام الرباطات والطلائع ، والرباط في عهده لا يقل عن أهمية المسجد والزاوية من حيث أنه مكانٌ تشع منه الدعوة إلى الإسلام وينمو فيه النشاط العلمي .

وقد أشارت المراجع التاريخية إلى أن بدء ظهور الأربطة كان في البلاد الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي على المستوى المكاني، وظهرت هذه الأربطة عندما أصاب البحرية الإسلامية الخمول في الفترة ما بين ١٣٥- ١٨٥هـ وفي هذه الفترة عمل المسلمون بنظام الرباطات .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الآتي:

١. أن المراجع والمصادر التي تعرضت لهذه المؤسسة التربوية الجهادية لم تذكر شيئاً كثيراً عن هذه المؤسسات يوفي لها حقها ودورها في التاريخ الإسلامي .

٢. المعلومات التي وجدت عن هذه الأربطة قليلة ومبعثرة في طيات العديد من المصادر والمراجع مما أخذ الكثير من وقت الباحثة .

أهداف البحث:

أولاً: يهدف هذا البحث لإبراز دور الأربطة في الدولة الإسلامية خاصة في صدر الإسلام من الناحية التربوية والدينية والجهادية .

ثانياً: توضيح حياة رواد الأربطة والإقامة فيها والتشعب بالعلوم الدينية .

ثالثاً: توجيه طاقات الشباب إلى إحياء فكرة الأربطة من أجل حماية البلاد الإسلامية والإسلام .

حدود البحث الزمانية:

هذا البحث تقتصر حدوده على الدور الديني والجهادي والتربوي للأربطة في الدولة الإسلامية منذ صدر الإسلام في بلاد المغرب. منهجية البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي والتحليلي التاريخي والاستنباطي. الدراسات السابقة:

حسب علم الباحثة وتقصيها أنه لم يتطرق باحث لهذا الموضوع من ناحية مستقلة. هيكل البحث:

يتكون البحث من خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الأربطة:

المطلب الأول: تعريف الرباط لغة

المطلب الثاني: تعريف الرباط اصطلاحاً.

المبحث الثاني: هدف الرباط في الإسلام:

المطلب الأول: هدف الرباط وفضله في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: هدف الرباط وفضله في السنة النبوية.

المبحث الثالث: دور الأربطة:

المطلب الأول: دور الديني للرباط.

المطلب الثاني: دور التربوي للرباط.

المطلب الثالث: دور الجهادي للرباط.

المبحث الرابع: نماذج من الأربطة.

المبحث الخامس: النتائج والتوصيات.

المبحث الأول تعريف الأربطة

تعريف الأربطة لغة:

الرباط هو الشيء الذي يربط به وجمعه رِبْطٌ، والرباط ملازمة ثغر العدو والرجل مرابط والمرابطات الخيول التي رابطت، وفي الدعاء "اللهم انصر جيوش المسلمين وسرايهم ومرابطاتهم" يريد خيلهم المرابطة، وقوله عز وجل: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، يريد رباط الجهاد ويقال هو المواظبة على الصلوات الخمس في مواقيتها والرباط والمداومة على الشيء، ورجل رباط الجأش، وربط جأشه أي اشتد قلبه فلا يفر عند الفزع^(١).

وربط الشيء يربطه ويُرْبِطُه ربطاً فهو مربوط وربط شده. والرباط ما ربط به والجمع رِبْط وربط الدابة يربطها ربطاً وارتباطاً، وفلان يرتبط كذا رأساً من الدواب، ودابة ربيط مربوطة، والربط والمرابطة ما ربطها بها، والمربط والمربط موضع ربطها وهو من الظروف المخصوصة ولا يجري مجرى منزلة الولد، ومناط الثريا والربيط ما ارتبط من الدواب ويقال نعم الربيط هذا لما يربط من الخيل ويقال خيلاء رابطة، وببيلد كذا رابطة من الخيل، ورباط الخيل مرابطتها والرباط من الخيل الخمسة فما فوقها، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر ربطاً، وربما سميت الخيل نفسها ربطاً والرباط المواظبة على الأمر، قال الفارس وهو ثان من رباط الخيل وقوله عز وجل صابروا وربطوا قيل معناها حافظوا وقيل حافظوا على مواقيت الصلاة وفي الحديث عن أبي هريرة قال: أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط). والرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها فشبه ما ذكر من

١- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مكتبة لبنان، دار النشر، ط ١، ٢٠٠٤م، ص: ٢٨٢.

الأفعال المصلحة به قال القتيبي: (أصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كل منهما معد لصاحبه، فسمى المقام في الثغور رباطاً ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (فذلكم الرباط)، والرباط أي المواظبة على الطهارة والصلاة كالجهاد فيكون الرباط مصدر رابطت أي لازمت، والعرب تسمى الخيل إذا رابطت بالأفنية وعُلفت رِبْطاً وأحدها ريبط ويجمع الربط رباطاً وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومن الخيل يريد الإناث من الخيل والرباط هو مرابطة العدو وملازمة الثغر والرجل مرابط والمرابطات جماعات الخيول التي ربطت^(١).

أما الرباط في الاصطلاح هو المقام في الثغر استعداداً للجهاد إغزازاً بدين الله، وحراسة المسلمين، ودفعاً لشر المشركين عنهم، والثغر الرباط كل مكان يخيف أهله العدو ويخيفهم، والرباط هو من توابع الجهاد، وهو الإقامة في مكان يتوقع هجوم العدو فيه، وعليه معنى الرباط يصفه عامة هو حمل النفس على النية الحسنة، والجسم على فعل الطاعة، ومن أعظمه رباط الخيل في سبيل الله ورباط النفس على الصلوات^(٢).

المبحث الثاني

هدف الرباط في الإسلام

المطلب الأول

فصل الرباط في القرآن الكريم

هدف الرباط في القرآن الكريم قد ورد في الآيات القرآنية وهو الدفاع عن دولة الإسلام وحماه بتجمع العباد والمجاهدين على الحدود، وتجهيزهم

١- الإمام العلامة ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ص: ١١٢.

٢- ابن قدامة المقدسي، المغني، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ طبع، ص: ١٦٧.

بالعدد والعتاد من أنواع الأسلحة، وخاصة الخيل المدافعة الأعداء وخاصة العدو البحري وفي المواضع الساحلية المعرضة للخطر، والتي عرفت أحياناً بالثغور فكانها فتحات ضيقة يلزمها التحصين والحماية، وهكذا كان اهتمام أهل العصور بحركة الجندية الإسلامية وهذا من التأهيل المعنوي للرجال المرابطين أكثر من الاهتمام بالأمور السياسية والعسكرية، أو النفعية على وجه العموم مثل الظروف التي أدت إلى إقامة الرباط واختيار المكان المناسب، وإعداد المرابطين، وطريقة معاشهم وأساليب تدريبهم اليومي من مادية ومعنوية^(١).

وفي البداية كان للبحرية الإسلامية دور كبير في الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي ولكن هذه البحرية قد أصابها الخمول في الفترة من ١٣٥- ١٨٥هـ وفي هذه الفترة عمل المسلمون بنظام الرباطات، أو المناور المقامة على السواحل التونسية كالتان في رباطات فلطسين التي وصفها البلازري والمقدسي وقد اقترنت نشأة الرباطات في بلاد المغرب ومصر بالفتوحات الإسلامية لأن أرض المغرب الإسلامي كانت أرض جهاد^(٢)، وكان ساحله معرضاً للغارات البحرية المفاجئة التي يوجهها البيزنطيون من قواعدهم في صقلية، وسردانية وجنوبي إيطاليا على السواحل التونسية ولذلك يعد الرباط فيه جهاداً في سبيل الله، وقربة إليه وكانت سواحل أفريقيا، أكثر السواحل تعرضاً لأخطار الغزو البيزنطي، وعلى هذا الأساس نشأة الأربطة على طول ساحل أفريقيا منذ عصر مبكر، كذلك اهتم الأغلبة بالرباطات على السواحل التونسية خوفاً من غارات الروم على صقلية^(٣).

وعليه كثرت الرباطات في الدول الإسلامية آنذاك من أجل إعداد المجاهدين منذ عهد الفتوح الإسلامية الأولى ولها تاريخ طويل، ودور الرباط لم يكن يقل أهمية عن دور المسجد والزاوية لتلقي العلوم الدينية وكان قديماً

١- ابن قدامة، مصدر سابق، ص: ١٢٠.

٢- محمد توفيق بليغ، نشأة الرباط وتطوره وأهمية المراقبة في تاريخ المسلمين، مقال في دراسات تاريخية وأثرية من مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية، العدد الثاني، ١٩٦٨م، ص: ٤١.

٣- ابن قدامة، مصدر سابق، ص: ١٢٥.

من توابع الجهاد في سبيل الله إقامة الرباطات، وكان إسهام هذه الأربطة كبيراً في الدولة الإسلامية والتاريخ الإسلامي بل إن المرابطين في وقت من أوقات التاريخ تأسست على أكتافهم دولة حملت أسم (دولة المرابطين) وقد جعل السلف المصلحة الرباط والجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الطاعات^(١).

وكانت الرباطات تقام إلى جانب الأساطيل والقواعد البحرية على طول ساحل المغرب والأندلس، نتيجة لغارات المسيحيين، والنورماندين ولقد أعد المرابطون على السواحل رباطاً وجهاداً في آن واحد^(٢).

ولقد كانت هذه الأربطة المنطلق لنشر ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من عقيدة وعبادة وأخلاق وإنما وجدت الأربطة وجدت التعاليم الإسلامية وقد حققت الأربطة حياة إسلامية مثالية حيث كان بداخلها يتم تسيير الأمور في الحياة اليومية. وقد أشارت الكثير من آيات القرآن الكريم إلى فضل الجهاد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وكذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وقد دلت هاتان الآيتان، على أن الرباط في ثغور المسلمين وحياطتهما مما يجب القيام به كالجهاد، وهو بناء الرباط إذ لم يكن منها بد لصد كيد المعتدين لأن رد العدوان عن المسلمين واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما تقرر في أصول الفقه^(٣).

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والرباط يزيد أجره عند الله تعالى لو صار في مكان يخاف المسلمون فيه، والرباط فيه فضل كبير بقدر

١- محمد توفيق، مصدر سابق، ص: ٤٣.

٢- كعت القاضي محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس، طبعة باريس، ١٩٨١م، ص: ١٥٣.

٣- كمال الدين محمد عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، ج ٥، بدون تاريخ، ص: ٤٣٦.

خوف أهل الثغر وكثرة تحرزهم من عدوهم، والإقامة في الرباط للحراسة أفضل من الإقامة في أي مكان سواه، وصرف الوقت في الرباط أفضل من صرفه فيما سواه، ولأن الرباط هو مكان الزود والدفاع من حيث يضاعف الله تعالى الأجر، وكذلك الأعمال المصلحة وكذلك قال تعالى: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]، وكذلك تجهيز الأقمار الصناعية هو نوع من الرباط الحديث لأنها تكشف مواقع العدو وتحركاته فلو جلس الفضائي في مركبته والجندي في قاعدته مراقبين أعداء الله والإسلام لعدُّ كل منهما مرابطاً في سبيل الله عز وجل^(١).

المطلب الثاني

فضل الرباط في السنة النبوية

لقد أشارت السنة النبوية الشريفة في العديد من الأحاديث إلى فضل الرباط فقد روى البيهقي رحمه الله تعالى وغيره عن عائذ رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر فالتفت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الناس فقال: هل رآه أحد منكم على عمل الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله فقد حرس ليلة في سبيل الله فصلى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وحثي عليه التراب وقال: (أصحابك يظنون أنك من أهل النار وأنا أشهد أنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم يا عمر لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة)^(٢).

ولقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها

١- ابن بشكوال أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، القاهرة ١٩٦٦م، ص: ١٢٠.

٢- السيوطي، مصدر سابق، ص: ٤٢٢.

فاستنت شرفاً أو شرفين كأن أرواثها وآثارها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات] ورجل ربطها تقنياً وستراً وتعففاً لم ينس حق الله في رقابها وظهورها فهي كذلك سترٌ ورجل ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي وزر على ذلك^(١).

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحُمُرِ فقال ما أنزل الله عليّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفائدة : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [سورة الزلزلة: ١-٨].

فهذا الحديث دل على أن المسلم إذا أعد وسيلة للجهاد كتب الله له الأجر ومكان الشاهد من الحديث عند سؤال الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم عن إعداد الحُمُر للجهاد وهل حكمها حكم الخيل فأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم ينزل عليه شيء من القرآن الكريم يدل على فضل إعداد الحُمُر كما نزل عليه الأمر أعداد الخيل والأمر بإعدادها يستلزم منه الثواب من الله سبحانه وتعالى ولكن استنبط صلى الله عليه وسلم من الآية السابقة أن من أتخذ من الحمير لأجل الرباط في سبيل الله تعالى كان له أجر فيها^(٢).

أما عن المحل الذي يتحقق فيه الرباط فقد روى البخاري رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)^(٣).

والرباط يزيد أجره عند الله تعالى ولو صار في مكان يخاف المسلمون فيه والرباط فيه فضل كبير، وذلك بقدر خوف أهل البلد وكثرة تحرزهم من عدوهم والإقامة في الرباط للجهاد أفضل من صرفه فيما سواه للإقامة في

١ - محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب الخيل لثلاثة، ج٣، ١٩١٧م، ص: ١٧٧.

٢ - صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبيد الله البخاري، الحفصي، دار النشر بن كثير اليمامة، بيروت، ١٤٠٧/١٩١٧م، ص: ٤٢٢.

٣ - البخاري، صحيح البخاري، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ص: ٢٣٥.

أي مكان آخر لأن الرباط هو مكان الزود والدفاع حيث يضاعف الأجر فيها وكذلك الأعمال المصلحة.

فالصبر ومصابرة الأعداء أو المرابطة في ثغور بلاد الإسلام وتقوى الله باجتناّب معاصيه وفعل ما يرضيه كلها عوامل النصر على الأعداء في الدنيا، كما أن حسن النية وقصد إقامة الحق والعدل ودين الله هو شأن المسلم في قتاله وجهاده من أسباب الفوز والفلاح في الآخرة^(١).

وإن ثواب اليوم الواحد في الرباط واستمراره إلى يوم القيامة له فضل كبير روى البخاري رحمه الله تعالى عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رباط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزت عنه رباط سنة^(٢).

وإن الرباطات كانت في الدولة الإسلامية فهي تُعدُّ تخطيط من منظور إسلامي فهو وظيفة إدارية حتمية لأي عمل منظم ناجح، ولا بد من الأخذ في الاعتبار توقعات المستقبل، ولا يترك تحت رحمة المفاجأة بل نأخذ في الاعتبار توقعات المستقبل والإمكانيات المتاحة حالاً ومستقبلاً وهو ما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لَكُمْ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقد وردت هذه الآية الكريمة خصوصاً في التخطيط العسكري فإنها تضع لنا توجيهات عامة لمواجهة أي تحديات واحتمالات مستقبلية في سائر مجالات العمل، ولا يوجد مجتمع من المجتمعات البشرية في أي مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني إلا ولجأ إلى عملية التخطيط أفراداً أو جماعات^(٣).

١- الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، ص: ٢١٥.

٢- أبو العباس أحمد بن محمد الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقيا والمغرب، ١٤١٤/١٩٩٤م، ص: ٣٠-٣٥.

٣- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الكبير، ج ٢، ص: ٧١.

المبحث الثالث دور الأربطة المطلب الأول الدور الديني للرباط

تعريف الرباط بصفة عامة هو المكان الذي يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والعباد المصلحةين، استعداداً للجهاد في سبيل الله، أو لممارسة العبادة لله وحفظ القرآن الكريم، وكان الربط في الآونة القديمة تتخذ شكل بيوت والدليل على ذلك بيت هجيمة بنت حبي أم الدرداء وهي فتاة يتيمة نشأت في حجر أبي الدرداء، وكانت تتردد مع أبي الدرداء إلى جامع دمشق في برنس وتصلي في صفوف الرجال، وتجلس في حلق العلم والقراء وتعلم القرآن الكريم وكان أبو الدرداء أول معلم للقرآن الكريم بدمشق ويستعين في علمه بجميع القادرين على ذلك وحين بلغت هجيمة مبلغ النساء تزوجها أبو الدرداء وقال لها الحقي بصفوف النساء وحتى لا تتوقف هجيمة عن التعليم نقلت نشاطها إلى منزلها وخاصة بعد وفاة زوجها ٣٢هـ / ٦٥٣م وفتحت أبوابه للطلبة والعلماء فكانت تعلم الطلبة الكتابة والقرآن الكريم والحديث الشريف وتذاكر العلماء وقد زار بيتها هذا أبو هريرة وتحدث عنها بحضور بعض النساء^(١).

وقد كان يزورها عدد كبير من النساء بجالسنها ويتعبدن عندها، فيمضين الليل في الصلاة حتى تتورم أقدامهن^(٢)، واجتماع النسوة هذا للعبادة، يجعل من بيت أم الدرداء أول رباط للنساء في الإسلام. وفي القرن الأول الهجري كانت الحاجة ماسة إلى إسهام الجميع في التعليم الديني والتربية الدينية وقد كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الرحمن بن شبل الأنصاري وكان عبد الرحمن وقتها يقيم في حمص قائلاً له: (إنك من قدماء أصحاب

١- ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، مخطوط رقم ٢، ترجمة كريمة بنت الحساس المزنية الدمشقية، ص: ٤٠٨.

٢- المصدر نفسه الصفحة نفسها.

الرسول صلى الله عليه وسلم وفقهائهم فإذا صليت ودخلت فسطاطك فقم في الناس فحدثهم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك نجد أن جيش اليرموك كان يضم قاضياً وهو أبو الدرداء وقارئاً وهو المقداد بن الأسود وكان المقداد يتلو سورة الجهاد (الأنفال) وعندما استقر الجيش في أرض الشام انتقل جميع أفرادها قادة وجنوداً إلى التعليم والتعلم على المنهج الذي اختطه الرسول صلى الله عليه وسلم معلم الإسلام الأول^(١).

ومن المتوقع أن تكون هذه التقاليد قد استحدثت خلال القرن الثاني، ولقد كان لبيت أبي سليمان الداراني وهو بداريا وكان منزله مركز نشاط حيث استقطب عدداً من الطلبة وطور لهم منهجاً دينياً يسيرون عليه في سلوكهم وعباداتهم وكذلك بيت العادة أم هارون الدمشقية حيث كبار مشايخ دمشق يزورونها ويأخذون من علمها أيضاً أبهريرة في دمشق واجتمع عليه الناس فأخذ يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت هذه مؤسسات تربية دينية ولكنها غير نظامية، لكن هناك جماعات معينة تكونت لديها خلال هذه الفترة حاجات متميزة دفعتها إلى إيجاد مؤسسات خاصة بها وأبرز هذه الجماعات الزهاد والعباد المتصوفة الذين أخذوا لعبادتهم الدويرات، أو الأربطة أو الخوانق، وقد ظهر رباط العباد والزهاد في القرن الثالث، وأنشأ هذا الرباط الزاهدون والمتصوفون ليكون لهم مكاناً خاصاً ينصرفون فيه إلى الحياة التي يرغبون فيها بعد أن جربوا العبادة مع الآخرين في المساجد والسياسة منفردين أو مجتمعين في الجبال واعتزال الناس في المغارات والأكواخ عملاً بالحديث الشريف: فقد روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: (قال رجل أي الناس أفضل يا رسول الله قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال: ثم من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره)^(٢).

١ - ملكة أبيض، التربية الثقافية العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ص: ١٢٥.

٢ - الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط، ص: ٣٤.

وقد عمل بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من العباد أمثال إبراهيم بن أدهم التميمي الذي ساح في جبال الشام ورفض حياة البذخ والترف، وتفرغ لثلاثة وهي شكر الله على النعم والاستغفار للذنوب، والاستعداد للموت^(١).

وعندما رأى شقيق إبراهيم الأدهمي البلخي طول مقام إبراهيم بن أدهم بالشام لحق به وسأله عن سبب ذلك فأجابه إبراهيم: (ما تهنت بالعيش إلا في بلاد الشام أفر بديني من شاهق إلى شاهق فمن يراني يقول موسوس ومن يراني يقول فلاح ومن يراني يقول حمال وأيضاً ساح في جبال لبنان من أجل الانفراد للعبادة والمرابطة وذو النون ابن إبراهيم المصري، وقد كان للنساء نصيب في هذه السياحات سواء من دمشق أو جبال لبنان^(٢)).

ولقد كانت حياة هؤلاء العباد والزهاد في جبل لبنان حيث تكثر الأشجار والثمار المباحة والرزق الحلال، وقد بنى هؤلاء العباد لأنفسهم بيوتاً من القش في جبال لبنان، كان المرابطون للعبادة وعددهم حوالي أربعين رجلاً ولباسهم الصوف ولهم مسجد يجتمعون فيه، وكان قوتهم البلوط، وهو ثمر على مقلد التمر يطحن ويخلط بالشعير وقد ذكر ابن عساكر هذه الأماكن التي يتعبد فيها هؤلاء العباد والزهاد وتحت اسم الرباط^(٣). وبما أن المراجع لا تذكر الكثير عن هذه المؤسسات الدينية التربوية فإننا لا نستطيع أن نجزم بشيء فيما يخص إدارتها وتنظيمها، وفيما كان يجري فيها من وحدة التربية والعبادة، إلا أننا نستشف من الأسماء التي أطلقت عليها بعض مقوماتها كالدويرة فهي أمكنة تخص الزهاد والصوفيين ولا يشاركون فيها غيرهم بحيث يستطيعون أن يمارسوا فيها رياضاتهم وعباداتهم ببناءى عن الآخرين، وهي لا تزال نُزُلاً ومضافات يقيمون فيها بصورة دائمة أو مؤقتة وينظمون حياتهم بصورة جماعية بصحبة معلمهم، ولما كان الهدف الأول من الإقامة في الرباط هو

١- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص: ٤٣٦.

٢- المصدر السابق، ص: ٤٣٧.

٣- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص: ٢٢٠.

مغالبة إغراءات الحياة الدنيا ومجاهدة الرغبات عدو الإنسان الداخلي فهي رباط أو رباطات مثلها في ذلك مثل الربط المعدة للجهاد ضد العدو الخارجي وفي البداية كان تمويل هذه المؤسسات من شأن الأفراد^(١).
وأيضاً يشمل دور الأربطة الديني إعداد المرابطين روحياً عن طريق التعبد وذكر الله بصوت عال، وكان الدعاء والتكبير صفة أساسية من سمات المرابطين، وقد ذكر الصوفي الغرناطي بن زمنين حيث قال: رأيت أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والمرابطات والثغور دبر كل صلاة العشاء والصبح تكبيراً عالياً ثلاث مرات ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً وكان المرابطون يتلقون في الأربطة الدروس الدينية، وكان لكل مرابط قاعة ينفرد فيها بنفسه بعد صلاة العشاء لقراءة القرآن الكريم والتعبد إلى حين صلاة الفجر، حيث يبدأ يوم جديد في حياة المرابطين، وقد تركت الأربطة أثرها في المرابطين، فقد كان من يخرجون بعد أن ينتهي مقامهم في الرباط يتوجهون إلى الدعوة لدين الله سبحانه وتعالى وقد لعبوا دوراً كبيراً في تثبيت دعائم الإسلام في تلك الديار آنذاك^(٢).

المطلب الثاني

الدور التربوي للرباط

في سبيل إيضاح الدور التربوي للرباط يذكر أن عدداً كبيراً من الصحابة والمرابطين شاركوا في فتحها كما اتخذها بعضهم مقاماً له وقد أممها الكثيرين من المرابطين سواء بصورة دائمة أو مؤقتة فكانوا يقرون فيها ويقصون ويحدثون ويتفقهون بالإضافة إلى مشاركتهم في الحياة الجهادية، ويقول ابن عساكر إنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رباط يوم و ليلة كصيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر)^(٣).

١- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز المقرب، من ذكرى بلاد أفريقيا والمغرب من كتاب المسالك والممالك، الجزائر ١٩١١م، ص: ١٢٠.

٢- ابن أبي زمنين، كتاب قدوة الغازي غطوطة عن أحمد العبادي دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص: ١٢٥.

٣- البخاري، صحيح البخاري، الجامع الصحيح كتاب الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، ص: ٢٢٢.

إن فكرة الأربطة كانت ذات أساس تنموي عندما جاءت في محاولة لتنمية المنطقة وتحقيق الاستقرار بها وكان الشباب من بين الجوانب التي تم استهدافها في المخطط التنموي الذي سعى إلى توجيه طاقات الشباب نحو حماية البلاد الإسلامية من كل الجهات، وأن معسكرات دفاعنا الشعبي اليوم لها صورة مصغرة من هذه الأربطة من حيث تأهيل الشباب، وكانت الحياة في الأربطة حياة اجتماعية منظمة تسير وفق منهج معين كما كانت حياة منتجة بحيث ينتج الشباب ما يقوم بتكاليف معيشتهم، فقد كان كل رباط يحوي أرضاً للزراعة يقوم المرابطون بزراعتها وحصدّها حتى يتم الاعتماد على عمل اليد في المعيشة وحتى يتحقق للرباط دخل يقومون بالإنفاق منه على أنشطة الأربطة ولهذا الأمر عدة أسباب^(١).

ومن بين تلك الأسباب عدم تحمل الدولة تكلفة الأربطة على الرغم من دورها الدفاعي عن البلاد إلى جانب تحريّ الحلال فيما يتعلق بالمال المنفق على الطعام، قد كان المرابطون لا يستحلون إلا المال القادم من عمل أيديهم وهذه صفات الأنبياء، الأمر الذي يشير إلى مدى عمق الثقافة الدينية لدى هؤلاء المرابطين^(٢).

كذلك ظهرت رباطات في المدن الإسلامية من أجل تحقيق الرعاية الاجتماعية للنساء فقد وجدت أربطة كانت ملاذاً ومقاماً للسيدات والأرامل والمطلقات والمسنيات ممن لا عائل لهنّ وممن قعد بهنّ الزمن، توفر لهنّ داخل الأربطة حياة كريمة شريفة من مأكّل ومشرب وملبس حفظاً لهنّ من الانحراف إضافة إلى مواظبتهنّ على العبادة من حفظ للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وهي حياة طابعتها الرحمة والصفاء الروحي والنفسي الذي اتصفت به الشريعة الإسلامية منذ وجودها، ولذلك نجد الحضارة الإسلامية تفردت بمثل هذه المؤسسات وتميز بها المجتمع الإسلامي دون غيره من المجتمعات

١- البكري، مرجع سابق، ص: ٢١١.

٢- ابن بشكوال، مرجع سابق، ص: ١٣٠.

فقد كانت هذه الأربطة في حياتها صورة من الحياة الدينية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اهتمت هذه الأربطة بالنواحي التربوية وهي كانت المنطلق لنشر ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من حيث العقيدة والعبادة، وقد كانت هذه الأربطة شبيهة بالمدارس القرآنية التي تدرس أمور الدين من فقه وحديث وتفسير وأصول وغيرها، وكانت حياة المرابطين تقوم على أساس التعاون بين أفرادها لتحقيق حياة إسلامية مثالية، فهم جماعة مؤمنة بربها وبرسالة الإسلام وكل ما يمت للإسلام بصلة، ويقوم بالمهمات التي تتألف منها حياة الرباط وبما أن الدين والدعوة إليه أهم واجبات المرابطين فقد كان لسان حال المرابطين وهم داخل الربط^(٢) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠].

وعليه فقد أصبح الرباط مؤسسة تربوية تعليمية، وعليه كان الفتح الإسلامي يلازمه الفتح العلمي التربوي في مختلف الأمصار التي استولى عليها المسلمون^(٣).

وقد كانت الأربطة يلجأ إليها العلماء والشعراء الذين يؤثرون الراحة والتربية ويلجئون إلى هذه الرباطات للدرس والبحث^(٤).

المطلب الثالث

الدور الجهادي للرباط

ظهرت الحاجة سريعاً إلى رباطات الجهاد لأن السواحل في الشام وحدودها الشمالية كانت منطقة مواجهة المسلمين مع الروم لذلك بادر الفاتحون إلى ترميم المدن التي احتلوها في تلك المناطق وتحصينها وتزويدها بالمرابطين كما عملوا على نشأة مدن جديدة حصينة سميت بالربط أو المرابط

١- حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١م، ص: ٧٥.

٢- حسن أحمد محمود، دولة المرابطون ودور العرب في نشر الحضارة في غرب أفريقيا، ط ٢، ١٩٦٤م، ص: ١٢٧.

٣- أحمد العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، ص: ٢٩١.

٤- حسن أحمد محمود، مرجع سابق، ص: ١٣٠.

وفي تلك الفترة لم تطلق كلمة رباط على مبنى محدد كالمسجد والكتّاب إنما كانت تطلق على المكان الذي يعيش فيه معظم المجاهدين بصورة دائمة مع أسرهم، ويساق إليه بعضهم بصورة رسمية للمشاركة في الغزوات الموسمية المسماة بالصوائق والشواتي ففي عام ١٠٦هـ / ٧٢٥م على سبيل المثال طلب الخليفة هشام بن عبد الملك من واليه على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضرب على الناس بعث ٤٠٠٠ ألف رجل فسمى عام الأربعة ألف فكان الناس إذا دخلوا صائقة خرج أربعة ألف من المدينة إلى المرابطة في السواحل فكانوا يبقون هناك حتى نهايتها وبالإضافة إلى هذين الفريقين كان هنالك آخرون يأتون مطوعين بصورة دائمة أو مؤقتة^(١).

وقد كان بناء الأربطة من أهم الأعمال التي يقوم بها الأفراد والخلفاء فقد كانت الإسكندرية ثغراً من الثغور الإسلامية التي يربط فيها المجاهدون والمسلمون ولذلك قسم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جنوده إلى قسمين قسم أبقاه معه في الفسطاط وقسم وزعه إلى قسمين قسم لرباط الإسكندرية وقسم آخر لسائر السواحل وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط في الإسكندرية^(٢). كذلك اهتم عثمان بن عفان رضي الله عنه برابطة الإسكندرية، كذلك كانت سواحل الشام مزودة بالمجاهدين في الأربطة^{(٣)(٤)}.

وكانت حياتهم الجهادية في الرباط تقوم على الحراسة ليلاً التي تُعدُّ صفة أساسية من صفات المرابطة وقد عرف الحراس الليليون باسم السمار^(٥). وقد جرت العادة أن تكون الحراسة في المراقب العالية أو في أماكن مرتفعة داخل الرباط حتى يتمكن المرابطون من كشف تحركات العدو ومن مسافة بعيدة وكانت هذه الرُّبُط من أجل الجهاد، ومزودة بالمنارات التي عرفت أيضاً

١- ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، كتاب الأعلاف، ب. ت. ط، ج ١، ص: ١١٨.

٢- المرجع السابق، ص: ١١٨.

٣- السيد عبد العزيز سالم، الشام تاريخها وآثارها في العصر الإسلامي، طرابلس، مجلة الآداب ١٩٦٢م، ص: ٤٩.

٤- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ب. ت. ط. ج ٢، ص: ١٥٥.

٥- الإدريسي، نزهة المشتاق، ب. ت. ط. ج ٥، ص: ١٦٠.

باسم الطلائع أو الطواع جمع طالعة، فكان على أولئك السمار أو المرابطين إذا ما كشفوا العدو في البحر مقبلاً من بعيد أشعلوا النيران على قمم المناور أو الطلائع ليلاً^(١).

أما إذا كان الوقت نهراً قد يستخدم الدخان وقد يستخدم أهل الربط الطبل، هذا بجانب استخدام النقيير لتحذير أهل المدن المجاورة من غارات العدو وهي بمثابة صفارة الإنذار في عصرنا هذا وكثيراً ما استخدم المرابطون إشارات نارية أو وقائية بطرق معينة للإخبار عن حالة العدو أو عدده أو هويته أو غيره، والمراجع والمصادر التي تحدثت عن هذه الأربطة لم تشرح لنا طريقة إرسال هذه الإشارات^(٢).

ولعل الدور الذي ذكره المغربي والعمري في مقاومة الصليبيين والمغول في الشرق العربي يعطينا فكرة واضحة عما كان متبعاً في مثل هذا الشأن في الغرب الإسلامي^(٣).

ولقد اقتبس الإسبان من جيرانهم المسلمين نظم المرابطة منذ وقت مبكر كما استخدموا نفس الوسائل والأدوات بأسمائها العربية مثل الطلائع والمنارة، ولكنهم زادوا عليها استعمال النواقيس التي تقابل الطبول عند المسلمين ولقد دخل لفظ رباط (العربي) في اللغة الإسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebats أي الرباط أي يرباط ويقال كذلك استخدموا كلمة طلائع Atalaya والمنارة Almenara^(٤).

١- البكري، مرجع سابق، ص: ١٥٥.

٢- المرجع السابق، ص: ١٥٥.

٣- عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، لإسكندرية، ١٩١٢م، ص: ٩٦.

٤- المرجع السابق، ٢٠٠٩م، ص: ١١٥.

المبحث الرابع نماذج من الأربطة في الدولة الإسلامية

كما هو معلوم إن ظهور الأربطة في الدولة الإسلامية وفي التاريخ الإسلامي ظهر عند الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه منتهجاً في ذلك سياسة بحرية دفاعية لمواجهة العدو والخطر البيزنطي على ثغور المسلمين، فاهتم بتحصين السواحل وترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحرس على مناظرها متوسلاً في ذلك كله بوسائل برية فأمر بترميم حصونها وإقامة الأربطة على طول السواحل وتحصنها بالمرابطين والمقاتلة لمراقبة النواحي التي يقبل العدو البيزنطي منها في البحر والإنذار باقتراب العدو ليلاً عن طريق إيقاد النيران تهيئاً للمرابطة بالخطر وتوجيهها لهم للاستعداد والتأهب لصد الغزاة، وكان هذا النظام الدفاعي البحري ضرورياً في العهد الأول الذي تبع الفتوحات الإسلامية، عندما كان العرب يعرفون القليل عن ركوب البحر ويجهلون الحروب البحرية وأساليب القتال فيه أصبحت سواحل الشام ومصر مبنوثة بالأربطة والقلاع والحصون ووضعت في حاميات للمرابطة، وتنقسم كل منها إلى عرفات أو مجموعات، وكل عرافة تتألف من مائة رجل، وكان المرابطة يقيمون بالرباط أثناء فصل الصيف عندما يصبح البحر صالحاً للملاحة وفي فترة الشتاء تعود الحاميات المرابطة إلى قواعدها، وكذلك توالى ظهور الأربطة في الدولة الإسلامية في الدولة الأموية وقد أشارت المراجع التاريخية إلى أن ظهور الأربطة كان في بلاد المغرب على المستوى السكاني وكذلك في ظل الدولة العباسية عندما أشار الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى قائده هرثمه بن أعين على ولاية أفريقيا وهي مكان تونس الحالية ١٧٩هـ / ٩٧٥م أن يعيد الاستقرار للمنطقة بعد فترة من الاضطرابات وعليه سعى هرثمة إلى ذلك من خلال الجهد التنموي الذي كان من محاوره بناء الأربطة التي تعرف أيضاً باسم قصور العباد، وهذه الأربطة استطاعت أن تقاوم أساطيل وجيوش الدولة البيزنطية وحالت بينهم وبين احتلالهم للساحل الأفريقي^(١).

١ - محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجيل، ب. ت. ط. ، ص: ١٩٨.

وقد أدت الأربطة في الشمال الأفريقي خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وقد كانت الرباطات في الشمال الأفريقي عبارة عن منشآت علمية ذات صفة دينية وحربية للزود عن الإسلام، وقد خدمت هذه الرباطات الإسلام أجل خدمة وأسدت للسنة المحمدية أياد بيضاء، فعمت أهل المغرب فلم تلبس بهم الفتنة في وقت انتشرت فيه المذاهب الضالة وأخذ مروجها ينفثون سموهم في البلاد ولو لا الرباط والمرابطون لقضى الخوارج والصفوية والإباضية على التقاليد السليمة والسنن القويمة، وأهل الرباط هم الذين حملوا لواء المقاومة السنية وهم الذين دكوا صرح الشيعة في أفريقيا والمغرب^(١).

وقد قاومت هذه الأربطة في الثغور أساطيل وجيوش البيزنطيين الذين عجزوا رغم تفوقهم البحري عن احتلال الساحل الأفريقي، لأن هؤلاء المرابطين قد اهتموا بالفروسية والتدريب الجهادي، ولقد كان لفقهاء المالكية دور ريادي من خلال هذه الأربطة في وجه التيارات الفكرية والمذهبية، وكانت هذه الربط هي المنطلق لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من عقيدة وعبادة وإخلاص، لأنهم مؤمنون بالله وبرسالة الإسلام وأن التبشير بدعوة الإسلام من أهم واجباتهم، فكانوا بعد إكمال فترتهم في الربط وفي فترة السلم يخرجون إلى القبائل المجاورة لهدايتها وترغيبها في الإسلام^(٢).

١. رباط المستنير:

أقدم الرباطات وأجمعها من الناحية الهندسية واتسع حتى أصبح على شكل صحن كبير وبداخله مساكن كثيرة، وبه طابقان يخصص الأول للمسجد وقاعات الدرس والاجتماعات وإعداد الطعام اليومي الذي يتناوله المرابطون وأهل الرباط، كما يخصص الطابق الثاني للحراسة والعبادة والخلوة، وفي العادة يتولى الرباط شيخ من أهل التقوى والورع والصلاح، وهو الذي يتولى تنظيم الأمور داخل الرباط وتوجد بداخل هذا الرباط أيضاً قباب

١- تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ب. ت. ط، ج ٢، ص: ٤١٢.

٢- عماد أحمد الجوهري، دراسات في فلسفة التاريخ، ب. ت. ط، ص: ١٥٩.

عالية تنزل بداخلها النساء والمرابطات، وبداخله مسجد لا يخلو من الشيخ وظهر بهذا الرباط زهاد على النمط المعروف في العالم الإسلامي^(١).

٢. رباط الفتح:

بناه المنصور أبو يعقوب يوسف عبد المؤمن، وأن المنصور عندما مر بسلا متوجهاً إلى الأندلس لغزوة الأرك أمر ببناء عدة مبان أثرية منها مدينة الرباط (رباط الفتح)، وأن هذا المشروع في بناء مدينة الفتح لم يتم إلا بعد شهرين من الانتصار في معركة الأرك وكان ينفق على مشروع البناء من خمس الغنائم ومن بيت مال المسلمين، وكان رباط الفتح كامل التحصين براً وبحراً، وقد أورد الحسن الوزان وصفاً كاملاً لعمران رباط مدينة الفتح لما يحتويه من المساجد والمدارس والقصور والدور والمنازل، وكان هدف المنصور من رباط الفتح إيجاد مدينة عظيمة يأوي إليها أهل الأندلس ويؤسسون بها حضارة أندلسية وأسطولاً بحرياً تردد صدى أعماله القرصانية في العالم الإسلامي والأفريقي بصفة خاصة كما كان يهدف المنصور إلى إثبات قاعدة عسكرية جهادية على الشاطئ الجنوبي للبحر، وكان هدفه أيضاً الجهاد في سبيل الله بالأندلس وتسهيل أسبابه على المجاهدين بما يحتاجونه من رجال وعتاد وقد قام رباط الفتح بواجبه الجهادي الذي شيد من أجله خير قيام^(٢).

٣. رباط سوسة:

بناه الأمير زيادة الله بن الأغلب في عام ٢٠٦هـ والهدف من بنائه الخوف من غارات الروم على السواحل التونسية، ومن جهة أخرى استعداده الدائم للجهاد في صقلية وهو أكبر حافز دفع^(٣) الأغلبة لإقامة هذا الرباط، ورباط سوسة من أهم الرباطات في عصر الأغلبة، وهو شبيه برباط المنستير تطور هذا الرباط وكانت الرباطات في عهد الأغلبة شبيهة بالقصور، وسمى رباط السوسة بقصر الرباط وهو من أجمل قصور الرباط في أفريقيا، وهذه

١- ابن بشكوال أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، القاهرة ١٩٦٦م، ص: ١٣٠.

٢- ابن رسته، كتاب الأعلام النفسية، ب.ت.ط. ح ٧، ص: ١١٨.

٣- أبو يعقوب الشاذلي المعروف بابن الزيات، التشويق إلى رجال التصوف، ب.ت.ط. ص: ٢٦٠.

الرباطات في عهد الأغالبة كانت مليئة بالمرابطين ما بين أفراد يدفعهم التقى والورع إلى التطوع والجهاد في سبيل الله وحاميات رسمية ولقد كان لرباط سوسة دور رائد في عملية الغزو البحرية التي قام بها العرب من وراء البحار وهي فتح صقلية وإيطاليا^(١).

٤. رباط وجاج بن زلواللمطي:

شيد هذا الرباط في منطقة السوس الأقصى وهو عبارة عن دار سماها دار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن الكريم، والهدف من بناء هذا الرباط وهو نشر الإسلام وتصحيح مساره في منطقة تفتقر للعلم والمعرفة، وكان لفقهاء القيروان صلة وثيقة بهذا الرباط وكان موضعه في البلاد المعامرة بالقرب من مناطق الشيعة البجلية وكان هدف هذا الرباط تحصين أهالي المنطقة ضد انتصار المذهب الشيعي^(٢).

٥. رباط شاكر:

أقيم هذا الرباط بالقرب من مدينة مراكش، ولا يزال الأهالي يحفظون هذا الاسم ويعتقدون أنه من أصحاب عقبة بن نافع، ويقال إن الذي بناه يعلي ابن مصلين الرجرجي ليكون رباطاً على كفار براغواطة^(٣).

٦. رباط المرية:

كان النواة العمرانية لمدينة المرية، وكان الناس يربطون فيه لحماية مدينة بجانة من غارات النورماندين، وقد كانت المرية من المدن المهمة لذلك أحيطت بسلسلة من الرباطات الساحلية لحمايتها من أي عدوان خارجي باعتبارها قاعدة الأسطول الأندلسي^(٤). وقد توالى انتشار الأربطة في المدن الإسلامية و أوقف الخليفة العباسي المستعصم بالله دار الشط المجاورة لدار الملك ببغداد عام ٦٢٥م رباطاً للنساء المحتاجات، وفي دمشق أنشأت فاطمة الأيوبية عام ٦٥٠هـ/ ١٢٢٥م رباطاً للنساء الفقيرات وكذلك كثرت أربطة النساء في

١- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ الغرب والأندلس، ٢٠٠٠م، ص: ٢٤٥.

٢- كعب القاضي محمود، مرجع سابق، ص: ١٣٠.

٣- محمد مناحي، الحدود الإسلامية والبيزنطية، ب.ت.ط، ج ٣، ص: ١٢٦.

٤- البكري أبو عبد الله، مصدر سابق، ص: ١٣٦.

مدينتي القاهرة والفسطاط، وكذلك مدينة فأس ظهرت بها العديد من الأربطة الخاصة برعاية النساء وتحدث عن الأربطة في القاهرة مؤرخ مصر الإسلامي المقريري ويذكر أنها كانت على هيئة ما كان عليه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن الرباط البغدادية في مصر، وهو رباط تودع فيه النساء اللاتي طلقن أو هُجرن حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن، وفيه رعاية لهن ومواظبة على وظائف العبادة^(١).

وعليه فقد أدت هذه الأربطة كل أدوارها في الدولة الإسلامية، وأسهمت في تأمين الحدود الإسلامية وفي حماية الدين الإسلامي من كيد الأعداء، وبالرغم من ذلك لم تتطرق المصادر والمراجع التاريخية بالشرح الوافي لدور الأربطة.

المبحث الخامس

النتائج والتوصيات

في خاتمة هذا البحث تورد الباحثة النتائج والتوصيات الآتية:

النتائج

١. أهل الرباطات هم الذين حملوا لواء المقاومة السنية وهم الذين دكوا صرح الشيعة في أفريقيا والمغرب.
٢. اهتمت هذه الأربطة بالناحية العلمية، حيث أخذت تعاليم الإسلام تنتشر من خلالها، وكانت هذه الرباطات هي المنطلق لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
٣. ساعدت الأربطة على تكوين طبقة من المصلحةين الذين كرسوا حياتهم للجهاد ضد الروم وأعداء الإسلام بصفة عامة، والدليل على ذلك أن أسد الفرات مصنف الأسدية في الفقه على مذهب الإمام مالك كان قائداً للحملة البحرية على صقلية.

١- المقريري تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ب.ت، ط، ج، ٢، ص:

التوصيات

١. إن الإسلام في عهده الأول أقام دولة جديدة بهذه القوة التي بهرت جميع أعداء الإسلام وأخضعت الدول المجاورة كالفرس والروم.
٢. لابد للأمة الإسلامية من بناء الرجال وتنشئتهم على حب العقيدة الراسخة والجهاد في سبيل الله.
٣. إن الإسلام قد حرص كل الحرص على أن يظهر المسلمون أمام الأعداء وهم في كامل القوة والعزة، وهذا ما ظهر به المسلمون بعد صلح الحديبية وقال المشركون عنهم حطمتهم حمى يثرب.
٤. واجب المسلمين أن يحرصوا على الجهاد بالمال والنفس وأن يرابطوا في سبيل العقيدة وحماية الوطن كما أن واجبهم أن يعدوا العدة الكافية لأعداء الإسلام.

المصادر والمراجع

المصادر:

١. القرآن الكريم .
٢. السنة النبوية الشريفة .

المراجع:

١. ابن أبي زمنين، كتاب قدوة الغازي، مخطوطة عن أحمد العبادي دراسات في تاريخ المغرب العربي، بدون تاريخ طبع .
٢. ابن بشكوال أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، القاهرة ١٩٦٦ م
٣. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، كتاب الأعلام النفيسة ، بدون تاريخ طبع ، جزء الأول ..
٤. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، الجزء الثاني، ١٩٨٣ م.

٥. ابن قدامة المقدسي، دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ طبع ..
٦. أبو العباس أحمد بن محمد الرقيق، تاريخ أفريقيا والمغرب، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
٧. أبو يعقوب الشاذلي المعروف بابن الزيات، التشوق إلى رجال التصوف، بدون تاريخ طبع .
٨. أحمد العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة، دون تاريخ طبع .
٩. الإدريسي، نزهة المشتاق واختراق الآفاق، بدون تاريخ طبع ، الجزء الخامس.
١٠. الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد.
١١. الإمام العلامة ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي.
١٢. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط.
١٣. البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز المغربي، ذكرى بلاد أفريقيا و المغرب من كتاب المسالك والممالك ، الجزائر ١٩١١م.
١٤. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مكتبة لبنان، دار النشر، المطبعة الأولى، ٢٠٠٤م .
١٥. السيد عبد العزيز سالم، الشام تاريخها وآثارها في العصر الإسلامي، طرابلس، مجلة الآداب ١٩٦٢م
١٦. ابن بشكوال أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، القاهرة ١٩٦٦م ١٣٠.
١٧. ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، مخطوط رقم ٢، ترجمة كريمة بنت الحسحاس الحزنية الدمشقية، التربية الثقافية العربية الإسلامية في الشام والجزائر، خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار الحلايين بيروت ١٩٨٠م.

١٨. حسن أحمد محمود، دولة المرابطون ودور العرب في نشر الحضارة في غرب أفريقيا بدون تاريخ طبع .
١٩. سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الكبير، الجزء الثاني، بدون تاريخ طبع .
٢٠. عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية ١٩٨٢ م.
٢١. عماد أحمد الجوهري، دراسات في فلسفة التاريخ، بدون تاريخ طبع .
٢٢. كعت القاضي محمود كعت، تاريخ الفتاوي في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، طبعة باريس، ١٩٨١ م.
٢٣. كمال الدين محمد عبد الواحد السيواسي، فتح القدير، ج ٥، بدون تاريخ طبع .
٢٤. محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجليل، بدون تاريخ طبع .
٢٥. محمد بن إسماعيل بن عبد الله البخاري، صحيح البخاري، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، بدون تاريخ طبع .
٢٦. محمد توفيق بليغ، نشأة الرباط وتطوره وأهمية المرابطة في تاريخ المسلمين، مقال في دراسات تاريخية وأثرية من مطبوعات جمعية الآثار بالإسكندرية العدد الثاني ١٩٦٨ م.
٢٧. محمد فتحي، الحدود الإسلامية والبيزنطية الجزء الثالث بدون تاريخ طبع .
٢٨. المقرئ تقي الدين أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثاني بدون تاريخ طبع .

